الهدوء الذي يسبق العاصفة

اجتماع الوفد المصرى السورى السوفيتى فى الاسكندرية

وهنا بدأت العجلة تدور فى إتجاه قرار الحرب . وأوضح الشاذلى فى الباب السابع من مذكراته أنه فى ٢١ أغسطس ٧٣ إجتمع الوفدان المصرى والسورى بالإسكندرية ، وكان على رأس الوفد المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.أ.ق.م.م) ، وعلى رأس الوفد السورى اللواء طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح.ق.م.س) . وكان هدف الإجتماع هو الإتفاق على أنسب الأوقات لساعة الصفر ، وتنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع التعبوي والإستراتيجي والسياسي .

في تمام الساعة ١٤٠٠ يوم ٢١ من أغسطس ٧٣ دخلت ميناء الإسكندرية باخرة ركاب سوفيتية وعليها ٦ رجال سوريين كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط. كان هؤلاء هم اللواء طلاس وزير الدفاع، واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح. ق. م. س)، واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوى، واللواء حكمت الشهابي مدير المخابرات الحربية، واللواء عبد الرزاق الدردري رئيس هيئة العمليات، والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية. كانوا جميعا بملابسهم المدنية ولم يخطر وسائل الإعلام فى مصر او فى سوريا بأي شىء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد ام بعده. كنت أنا فى

استقبالهم على رصيف الميناء حيث خرجنا دون أية مراسم إلى نادى الضباط حيث أنزلوا خلال فترة إقامتهم بالإسكندرية.

وفي الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه اجتمع الوفدان المصري والسوري فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى قصر رأس التين بالإسكندرية. كان الوفد المصري يتكون من الفريق اول احمد إسماعيل وزير الحربية، والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.ا.ح.ق.م.م)، واللواء محمد على فهمي قائد الدفاع الجوى، واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد زكرى قائد القوات البحرية، واللواء عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية. كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية المشتركة، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهى الدين نوفل.

ويقول الشاذلى : كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب. وحيث إن قرار الحرب هو في النهاية قرار سياسى وليس قرارا عسكريا فقد كانت مسئوليتنا تنحصر فى إعطاء الإشارة للقيادة السياسية فى كل من مصر وسوريا بأننا جاهزين للحرب فى حدود الخطط المتفق عليها، وأن نحدد لهم افضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا استمرت اجتماعاتنا خلال يوم ٢٢ من أغسطس، وفي صباح يوم ٢٣ من أغسطس كنا قد اتفقنا على كل شيء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخي. وكان قرارنا يتلخص في أننا مستعدين وجاهزون للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترحنا توقيتين أحدهما خلال الفترة

من ٧ ألى ١١ من سبتمبر والثاني خلال الفترة من ٥ ألى ١١ من أكتوبر ٧٣.

وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا افضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتية وقد طالبنا للقيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوما، وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين وتم التوقيع عليهما من قبل كل من ر.ا.ح.ق.م السوري والمصري (اللواء يوسف شكورعن الجانب السوري، والفريق سعد الدين الشاذلي عن الجانب المصري). كان انتخاب توقيت سبتمبر يعنى أن القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار و إخطارنا به قبل يوم ٢٧ من أغسطس أي بعد ٤ أيام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر، فلما جاء يوم ٢٨ دون أن نخطر بشيء بدا واضحا أن الحرب ستكون في ٥ من أكتوبر او بعد ذلك بقليل.

وفرضت سرية الإجتماع عودة الوفد السورى اعتبارا من يوم ٢٤ من أغسطس، ولكن بأسلوب مختلف تماما عن أسلوب حضورهم. فمنهم من عاد جوا عن طريق السعودية، ومنهم من عاد بطريق البحر، ومنهم من بقي عدة أيام أخرى ، واعتبارا من ٢١ من سبتمبر بدأ العد التنازلي نحو حرب أكتوبر.

ويتساءل إيلى عازيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية (الموساد) فى مذكراته : لماذا لم تصل "معلومة" عن اللقاء المصرى السورى فى الفترة من ٢١ إلى ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ ؟ . ثم يقول زاعيرا : حسب إعتقادى

فإن ماتم إخفاؤه عن "الوكالة" (يقصد الموساد) بشأن هدف زيارة السادات للسعودية فى أغسطس ١٩٧٣ مع الملك فيصل ، وماتم إخفاؤه عن "الوكالة" من معلومات عن اللقاء المصرى السورى فى الإسكندرية فى أغسطس نفس العام ، وكذلك القرار الحقيقى والوحيد عن موعد الحرب ضد إسرائيل ، ووصول معلومة فى نفس الوقت تفيد أن السادات قد أرجأ الحرب إلى نهاية العام ، كل ذلك يشهد على أن "المنبع" كان تتويجا لنجاح خطة الخداع المصرية – (ملحوظة : غالبا كان يقصد زاعيرا بـ "المنبع" أشرف مروان صهر الرئيس عبد الناصر كمنبع لمعلومات الموساد الإسرائيلى ، حيث سرّب الموساد خبرا بعد وفاة أشرف مروان مقتولا أو منتحرا بلندن فى ٢٧ يونيو ٢٠٠٧ أنه كان عميلها وأكبر جواسيسها وأهمهم . فى حين قال الدكتور عبد المنعم سعيد رئيس مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية : إن مروان كان جزءا من خطة الحرب المصرية ، وكان عميلا مزدوجا كحلقة مهمة فى عملية خداع إسرائيل فى حرب ٧٣) .

أما بخصوص خداع العدو عن نوايا مصر وسوريا بالهجوم فيقول الشاذلى : قد كانت لدينا خطة متكاملة تشمل الخداع التكتيكي والتعبوي والإستراتيجي والسياسي. وقد تم تنسيق خططنا للخداع مع خطط الجانب السوري خلال الإجتماع بالإسكندرية في أغسطس ٧٣. كانت الخطة تعتمد على سلسلة من الأحداث تقع في عدة تواريخ محددة على المستويين العسكري والسياسي مما يعطي انطباعا بأن الحرب ليست متوقعة في الوقت الذي حددناه لها . ويستعرض الشاذلى فى مذكراته بعض أمثلة لتلك الأحداث التى تنفيذها اصطناعا تنفيذا لخطة الخداع التكتيكى والتعبوى

والإستراتيجى ثم يقول : وهكذا فإن المفاجأة التي حققناها يوم ٦ من أكتوبر ٧٣ كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات المتعددة التي كان يجري تنفيذها ضمن خطة محبوكة الأطراف تم وضع أسسها قبل بدء الحرب بمدة طويلة .

ويقول إيلى زاعيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية : أما الذى لم نتوقعه ، وكان بمثابة مفاجأة لنا ، هو رد الفعل السوفييتى ، ففى الساعات المتأخرة من مساء ٤ أكتوبر أسرع الخبراء السوفييت الذين يقيمون بالقاهرة هم وعائلاتهم إلى المطار ، وأقلعوا إلى موسكو ، وفى ظهر اليوم التالى ٥ أكتوبر كانت عملية الرحيل قد اكتملت . وأنا اعتقدت أن السوفييت قد تأكدت شكوكهم من صور أقمار التجسس ... وربما تلقوا إشارة ما من الرئيس السادات أو الرئيس الأسد ، وعلى أى حال أصبح واضحا فى يوم ٤ أكتوبر أن السوفييت واثقون ، من أن الحرب على الأبواب . كما تم إعداد خطة مصرية خاصة لنقل معدات العبور من المؤخرة إلى الجبهة ومن الجبهة إلى المؤخرة وكذا تحركات بطول المنطقة ، حتى يبدو الأمر وكأنه تدريب على التحركات ، ولاحظنا دفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة أثناء تلك التحركات قبل ثلاثة أسابيع من موعد بداية الهجوم ، وبتمويه جيد من أعمال هندسية متقنة ، كان يبدوا الأمر وكأنه يتعلق بمجرد مناورة ، ولكن فجأة وفى ذروة المناورة ، تحولت المناورة إلى قتال فعلى ..!! .

ثم يقول إيلى زاعيرا : أن عدد الضباط الذين كانوا يعملون بتطوير المناورة إلى حرب كان محدودا جدا ، وعندما حاصرت مجموعة عمليات

"بران" الجيش الثالث المصرى ، قامت بأسر آلاف الجنود المصريين ، ومن بينهم ضباط من قيادة الجيش ، ومن بين هؤلاء الضباط الذين تم أسرهم ، ضابط برتبة عقيد وهو ضابط من ضباط قيادة الدفاع الجوى . وخلال استجوابه الذى أجريته له فى معسكر للأسرى بجنوب سيناء قال لى : يوم ٦ أكتوبر وفى الساعة ١٣.٣٠ تم استدعاء ضباط القيادة – وهو من ضمنهم – إلى مكتب قائد الجيش . وعندما دخلوا إلى مكتبه وجدوه يصلى ، وعندما أنهى صلاته أبلغهم أن المناورة قد تطورت إلى حرب حقيقية ، وفى هذه اللحظة سمعوا أزيز طائرات القتال المصرية المتجهة لمهاجمة أهداف فى سيناء . ويقول زاعيرا : أن عنصر الخداع المصرى هو الذى ساهم أكثر من أى شيئ آخر فى عدم فهم طبيعة الإعدادات المصرية لعبور القناة ، ثم يقول : أن خطة الخداع اشتملت أيضا على خطوط رئيسية من الدعاية السياسية ، بهدف خدمة خطة الخداع ، وقد تكللت جميعها بالنجاح ، ويمكننى القول أن خطة الخداع التكتيكية والإستراتيجية حققت نجاحا ساحقا ، لدرجة أن أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، استخلصت نتائج خاطئة ، وفوجئ العالم كله بالهجوم المصرى – السورى .

أما كيسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة وقت حرب أكتوبر ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى فقد خصص فصلا كاملا بدأه بالصفحة رقم ٤٥٩ بعنوان " لماذا أُخذنا على حين غرة" **Why we were surprised** بمذكراته "سنوات مضطربه" **Years of Upheaval** أوضح فى مقدمته أمثلة من أساليب المفاجأة فى الحرب العالمية الثانية ثم قال :

أن الهجوم المصرى السورى على إسرائيل كان مفاجأة استرتيجية وتكتيكية من النوع التقليدى ، ولم تنتج بشكل كامل عن خداع للخصم أو عن التشويش عليه بمعلومات متناقضة لإفقاده القدرة على التمييز بين الصحيح وغير الصحيح منها ، بل نتجت المفاجأة أساسا نتيجة لخطأ الخصم فى التفسير الصحيح للوقائع المتاحة ، والتى لم يكن يخفيها الآخر بأى ستار كثيف من المعلومات المتناقضة . والنص الإنجليزى هو مايلى :

But the surprise of the october war is not explained fully by either background "noise" or deception. It resulted from the misinterpretation of facts available for all to see . unbeclouded by any conflicting information.

ثم يقول كيسينجر : " أن كل التحليلات الإسرائيلية والأمريكية ، كانت تضع عجز القدرة العسكرية لكل من مصر وسوريا ، عن تحرير الأراضى المحتلة بالحرب ، فى مقدمة استلالاتها للوصول إلى نتيجة واحدة هى عدم توقع أى هجوم من جانبهما . كما أن إعتقادنا أنهم سوف ينتظرون كالعادة ماوعدناهم به من تحرك فعال فى اتجاه الحل السلمى بعد انتهاء الإنتخابات الإسرائيلية فى ٣٠ أكتوبر كان يدعم توقعنا عدم الهجوم فى أكتوبر على الأقل " . ثم يقول كيسينجر : "وكان الإسرائيليون فى الجانب الآخر يفترضون وبشكل ساذج أن مصر لن تهاجم ، طالما أن قواتها لاتملك تفوقا عليهم فى السلاح الجوى ، وأنه لن يحدث أى هجوم عليهم قبل أن يعلمون به فى وقت يتراوح بين ٢٤ ساعة إلى ٤٨ ساعة على الأقل . وهذا وقت كاف لكى تتدخل الولايات المتحدة فى الأمر دبلوماسيا ،

وهو كاف أيضا لإسرائيل لتعبئة قواتها واستدعاء الإحتياط " . ويقول إيلى زاعيرا رئيس الموساد فى ذلك الوقت بمذكراته : " كيف لم تصل لنا أية معلومات تحذيرية إلا قبل ساعة الصفر بأربعين ساعة ؟ ! بينما "المنبع" – (سبق أن أوضحنا من هو المقصود بالمنبع) – الذى هو ليس مصدر التحذير قد علم يوم ٢٥ سبتمبر أن الحرب على الأبواب . أى قبل عشرة أيام من نشوب الحرب ؟ " .. أى أن زاعيرا رئيس الموساد علم بالحرب قبل نشوبها على الأقل بأربعين ساعة ، ولكن من رحمة الله أن القادة الإسرائليين كان يعميهم الغرور بعد انتصارهم الكاسح فى يونيو ١٩٦٧، ووصل هذا الغرور إلى درجة الثقة – التى تكاد أن تكون مطلقة– بأن الجيش المصرى غير مؤهل بعد نكسة يونيو١٩٦٧ لبدء أى حرب يمكن أن ينتصر فيها ، فلم يهتموا كثيرا بالمعلومات التى توفرت لديهم عن نية مصر وسوريا لبدء الحرب .

وحينما حققت القوات المصرية والسورية المفاجأة الكاملة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أمرت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير فى أواخر نوفمبر ١٩٧٣ أى قبل انقضاء أسابيع قليلة من إيقاف إطلاق النيران بتشكيل لجنة برئاسة القاضى شمعون أجرانات ، لمعرفة أسباب التقصير الذى تم ومن المتسبب فى ذلك ، ومثُل أمام تلك اللجنة كل من رأت اللجنة استدعاءه حتى جولدا مائير نفسها ، وموشى ديان وزير الدفاع ودافيد إليعازر رئيس الأركان وشموئيل جونين قائد المنطقة الجنوبية فى مواجهة الجبهة المصرية .